

من أناشيد المدينة إلى مواكب القاهرة ☐☐ كيف احتفل المسلمون بانتصاراتهم عبر التاريخ؟



الجمعة 14 أغسطس 2026 10:30 م

لم تكن الانتصارات العسكرية في التاريخ الإسلامي مجرد أحداث تنتهي بانتهاء المعارك، بل تحولت في كثير من الأحيان إلى مناسبات عامة للفرح والاحتفاء واستعادة الثقة وإبراز قوة الدولة والمجتمع ☐

فمنذ غزوة بدر الكبرى، ظهرت ملامح متعددة للاحتفال بالنصر، تراوحت بين استقبال الجيوش المنتصرة، وإطلاق البشائر، وإنشاد الأهازيج، وقرع الدفوف، وتزيين المدن، وتنظيم المواكب العسكرية، واستعراض الغنائم، وصولاً إلى الاحتفالات الكبرى التي شاركت فيها العواصم والأقاليم الإسلامية من أقصى المشرق إلى الأندلس ☐

وتكشف الروايات التاريخية أن احتفالات النصر لم تكن نمطاً واحداً ثابتاً، وإنما تطورت مع تطور الدولة الإسلامية واتساع رقعتها وتنوع مجتمعاتها وثقافاتهما ☐ فكان النصر في بعض المراحل مناسبة لإبلاغ الناس بأخبار المعارك، وفي مراحل أخرى يتحول إلى مهرجان شعبي ورسمي واسع، تختلط فيه السياسة بالأدب، والشعر بالموسيقى، والمواكب بالزينة، والرسائل الدبلوماسية بالاحتفالات الجماهيرية ☐

وتشير المادة التاريخية إلى أن هذه المظاهر ارتبطت كذلك بفكرة أعمق، هي تحويل الانتصار العسكري إلى حدث جماعي تشارك فيه المجتمعات الإسلامية مشاعر الفرح والاعتزاز، حتى عندما يقع النصر في إقليم بعيد عن العاصمة أو عن البلاد التي تحتفل به ☐

فرح المسلمين بانتصار الروم على الفرس

تعود إحدى أقدم الإشارات التي تؤصل لهذا المعنى إلى القرآن الكريم، الذي سجل فرح المسلمين بانتصار الروم على الفرس، في وقت كان المسلمون أنفسهم لا يزالون في مكة ويعانون الاضطهاد والاستضعاف ☐

ويرتبط ذلك بقوله تعالى: (غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ، لَلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُؤْمِنُونَ يُخِصِرُ اللَّهُ) ☐

ويورد المصدر التاريخي أن المسلمين فرحوا بانتصار الروم، رغم أنهم لم يشاركوا في تلك المعركة، لأن الروم كانوا من أهل الكتاب، ولأن انتصارهم على الفرس الوثنيين كان يحمل بالنسبة للمسلمين دلالة دينية وسياسية في سياق الصراع الذي كان يدور آنذاك ☐

ومن هنا تبدو فكرة الفرح بالنصر أوسع من مجرد الاحتفال بانتصار عسكري مباشر، إذ يمكن أن يتحول انتصار حليف أو طرف قريب في العقيدة والموقف إلى مناسبة للاحتفاء الجماعي ☐

بدر ☐ أول نموذج كبير للاحتفال بالنصر

مع انتقال المسلمين إلى المدينة المنورة وتأسيس دولتهم، أخذت احتفالات النصر شكلاً أكثر وضوحاً وتنظيماً ☐

وبعد غزوة بدر الكبرى سنة 2هـ/624م، وهي أول انتصار حاسم للمسلمين، أرسل النبي ☐ من يبشر أهل المدينة بما تحقق من نصر ☐ وتذكر المصادر أن أهل المدينة استقبلوا خبر الانتصار بفرح كبير، ثم خرجوا لاستقبال النبي ☐ وأصحابه ☐

ويورد المؤرخ ابن جرير الطبري أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رواحة إلى أهل العالية، وزيد بن حارثة إلى أهل السافلة، ليحملا إليهم خبر النصر

ولم يكن استقبال أهل المدينة مقتصرًا على الجانب الرسمي، إذ شارك فيه عامة الناس، بمن فيهم الصبيان والنساء، بالإنشاد وقرع الدفوف ويصف المقرزي مشهد استقبال النبي ﷺ عند عودته إلى المدينة، حيث خرج الناس للقائه وتهنئته بالنصر، بينما استقبلته الولائد بالدفوف والإنشاد

وتكشف هذه الروايات عن مزيج مبكر بين الاحتفال الرسمي والفرح الشعبي، وهو نمط ظل حاضرا في الاحتفالات بالنصر خلال مراحل لاحقة من التاريخ الإسلامي

من بدر إلى تبوك: تقليد احتفالي مستمر

لم يكن الاحتفال بالنصر في المدينة حادثة منفردة مرتبطة ببدر فقط، بل تشير الروايات إلى تكرار المشهد عند عودة النبي ﷺ من غزوات أخرى

فعند عودته من غزوة تبوك سنة 9هـ/631م، خرج أهل المدينة لاستقباله، وتكرر الإنشاد والترحيب

وتكتسب هذه الإشارة أهمية خاصة لأنها تعني، بحسب المادة التاريخية، أن مظاهر استقبال المنتصرين وإظهار الفرح بالنصر ظلت حاضرة طوال العهد النبوي، قبل أن تنتقل إلى مرحلة جديدة في عهد الخلفاء الراشدين، حيث بدأت تتحول إلى طقوس أكثر تنظيما واتساعا

أبو بكر الصديق: استقبال رسل النصر

مع بداية عهد أبي بكر الصديق، تطورت عملية الاحتفال بالنصر من استقبال الجيوش إلى استقبال رسل البشارات والفتوحات

وتذكر الروايات أن الخليفة كان يستقبل حاملي أخبار الانتصارات، ثم يجمع المسلمين في المسجد النبوي لسماع ما جاء به الرسل من رسائل وتقارير عن المعارك

وكان الناس يتجمعون لسماع أخبار الجيوش الإسلامية في ساحات المدينة، فيما أصبح وصول رسول يحمل بشرى النصر حدثا جماهيريا ينتظره الجميع

وتروي المصادر أن أبا بكر كان يخرج بعد صلاة الفجر متطلعا إلى وصول أخبار المجاهدين في الشام، في انتظار الرسل القادمين من ميادين القتال

وفي إحدى الوقائع، وصل أحد الرسل حاملا خبر انتصار المسلمين في الشام، فسجد أبو بكر شكرا لله، ثم قرأ كتاب النصر على المسلمين، فتراحم الناس لسماع تفاصيله، وانتشر الخبر في المدينة

ولم تتوقف أصداء النصر عند المدينة، بل امتدت إلى مكة والحجاز واليمن، وهو ما يعكس بداية تشكل ما يمكن وصفه بـ"شبكة أخبار الفتوحات" في العالم الإسلامي

عمر بن الخطاب: تحويل خبر النصر إلى حدث جماهيري

في عهد عمر بن الخطاب اتخذت احتفالات النصر شكلا أكثر تنظيما، خصوصا مع كثرة الفتوحات في الشام والعراق ومصر

وتشير الروايات إلى أن عمر كان يتقرب أخبار الجيوش يوميا، وكان وصول مبعوث يحمل بشرى فتح جديد مناسبة لجمع الناس وإطلاعهم على تفاصيل ما حدث في ساحات القتال

ومن أبرز الأمثلة على ذلك فتح المدائن، عاصمة الدولة الفارسية، سنة 16هـ/638م فقد أرسل سعد بن أبي وقاص مبعوثا إلى عمر يحمل خبر الفتح والغنائم

وعندما وصل الرسول إلى الخليفة وأبلغه بالبشرى، توجه عمر معه إلى المسجد، وسرعان ما انتشر الخبر وتوافد الناس حتى امتلأ المسجد، وبدأ مبعوثو النصر في رواية تفاصيل ما شاهدوه في أرض المعركة

وهنا تظهر إحدى أهم سمات الاحتفال بالنصر في ذلك العصر: لم يكن الهدف مجرد الإعلان عن الانتصار، وإنما تحويل شهود المعركة إلى رواة أمام الجمهور، بحيث يسمع الناس مباشرة قصص القتال وشجاعة الجنود وانكسار الخصوم

فتح الإسكندرية[] البشارة تصل إلى المدينة

تكرر هذا الأسلوب مع أخبار الفتح الإسلامي لمصر[]

فعندما أرسل معاوية بن حديج ببشرى فتح الإسكندرية سنة 20هـ/641م، وصل إلى المدينة المنورة، حيث استقبله عمر بن الخطاب وتوجه به إلى المسجد[]

وأمر الخليفة المؤذن بأن ينادي الناس إلى اجتماع عام، ثم طلب من حامل البشارة أن يحدث الناس بما شاهده[]

وبذلك تحولت المساجد في بعض المناسبات إلى ساحات لإعلان الانتصارات، والاستماع إلى شهادات المشاركين في المعارك، وإشراك المجتمع في تفاصيل ما تحقق على الجبهات[]

الفيل وزى كسرى[] حين تحولت الغنائم إلى عرض جماهيري

لم تكن احتفالات النصر مرتبطة بالأخبار والخطب وحدها، بل امتدت إلى عرض الأشياء الغريبة التي جاءت بها الجيوش من البلاد المفتوحة[]

ومن أشهر الأمثلة عرض الفيل الذي جاء من العراق إلى المدينة[] فقد كان الفيل حيوانا غير مألوف بالنسبة لكثير من سكان الجزيرة العربية، ولذلك جرى عرضه حتى يراه الناس[]

وتروي المصادر أن سكان المدينة تجمعوا لمشاهدة الحيوان الضخم، حتى إن بعض النساء تساءلن عن طبيعته وما إذا كان من مخلوقات الله[]

لكن المشهد الأكثر غرابة ارتبط بغنائم كسرى[]

فبعد وصول حلي كسرى وملابسه وأسلحته إلى المدينة، أمر عمر بإلباس أحد الرجال، وكان ضخما، تاج كسرى وملابسه وحليه وسلاحه، ثم عرضه أمام الناس[]

كان المشهد أشبه بعرض تمثيلي رمزي، هدفه إظهار عظمة الغنائم التي آلت إلى المسلمين، وفي الوقت نفسه كسر الصورة المهيبة التي كانت تحيط بالإمبراطور الفارسي[]

وهكذا امتزج الاحتفال بالنصر بعرض رمزي يهدف إلى التأكيد على سقوط هيبة القوة المهزومة، وتحويل مظاهر سلطانها إلى مشهد يشاهده الجمهور[]

الشعر[] الإعلام الذي خلّد الانتصارات

إذا كانت المواكب والبشائر تمثل الجانب الجماهيري من الاحتفالات، فإن الشعر كان أحد أهم أدوات تخليد الانتصارات في الذاكرة الإسلامية والعربية[]

فالشعر كان وسيلة واسعة الانتشار للتعبير عن المشاعر وتسجيل الأحداث وتمجيد الأبطال، ولذلك أفرد المؤرخون منذ العصور الإسلامية الأولى مساحات كبيرة للأشعار التي قيلت في المعارك[]

وسجل ابن هشام في السيرة النبوية أشعارا قيلت في بدر وأحد وخيبر وفتح مكة، لتصبح القصيدة جزءا من سجل الحرب والانتصار[]

ومع توسع الدولة الإسلامية، تطورت هذه الوظيفة الأدبية، وأصبح الشعراء يتنافسون في تهنئة الخلفاء والسلاطين بانتصاراتهم[]

أبو تمام وعمورية[] القصيدة التي أصبحت رمزا للنصر

بلغ هذا التقليد ذروته في العصر العباسي مع قصيدة أبي تمام الشهيرة في فتح عمورية[]

فقد ربط الشاعر بين انتصار المسلمين في عمورية وبين غزوة بدر، وجعل من الانتصار الجديد امتدادا للانتصارات الإسلامية الكبرى[]

ومن أشهر أبياته:

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكُتُبِ في حَذِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعبِ

ثم يقول:

فتُحُ الفتوحِ تعالى أن يُحيط به نظمٌ من الشَّعر أو نثرٌ من الخُطبِ

ويصل إلى الربط المباشر بين عمورية وبدر:

وبين أيامك اللائي نُصرتَ بها وبين أيام بدر أقرَّبَ النسبِ!

ولم تكن قصيدة أبي تمام مجرد قصيدة تهنئة عابرة، بل تحولت إلى نموذج أدبي احتذى به شعراء جاءوا بعده في الاحتفاء بالانتصارات

من نور الدين إلى صلاح الدين: الشعر في خدمة البشارة

استمر تقليد الاحتفال الشعري بالانتصارات خلال الحروب الصليبية

فعندما انتصر نور الدين زنكي في معارك ضد الصليبيين، استقبل الشعراء مناسبة النصر بالقصائد، وكان من بينهم شرف الدين القيسراني

ثم جاء صلاح الدين الأيوبي ليصبح أحد أبرز الشخصيات التي ارتبط اسمها في الأدب العربي بقصائد الفتح والانتصار

وبعد استعادة القدس سنة 583هـ/1187م، انهالت قصائد التهنئة على صلاح الدين، وكان من بينها قصائد ابن سناء الملك، الذي وصف الفتح بأنه إنجاز لا يخص منطقة بعينها، وإنما تفرح به أقطار العالم الإسلامي

وتوضح هذه القصائد كيف تحول الانتصار العسكري إلى حدث أدبي وسياسي يتجاوز حدود مكان المعركة

النثر أيضا يدخل ميدان الاحتفال

لم يكن الشعر وحده وسيلة الاحتفاء بالانتصارات، فقد ازدهر كذلك أدب الرسائل والخطب والبيانات التي كانت تحمل أخبار الفتح إلى الحكام والأقاليم

وأصبحت رسائل البشارة بالانتصار جزءا من الأدب السياسي والدبلوماسي، خصوصا في عصور الدول الزنكية والأيوبية

وبرز في هذا المجال القاضي الفاضل وعماد الدين الأصفهاني، اللذان كتبا رسائل عديدة في تهنئة صلاح الدين بانتصاراته

وكانت رسائل الفتح تحمل إلى جانب التهنئة أخبار المعارك، وتعداد المدن والقلاع التي استعادها المسلمون، وإبراز أهمية الانتصار وآثاره السياسية والعسكرية

حطين: عودة البهجة إلى الشام

مُثل انتصار حطين سنة 583هـ/1187م محطة فارقة في تاريخ الاحتفال بالانتصارات، بعدما كان الاحتلال الصليبي قد ترك أثرا عميقا من الحزن في نفوس المسلمين

وبحسب الروايات التي أوردتها المؤرخون، أعاد الانتصار إلى الشام أجواء البهجة التي عرفتها المنطقة في عصور الفتوحات الأولى

وقبل حطين بسنوات، كان صلاح الدين يحرص على نشر أخبار انتصاراته في العالم الإسلامي، فأرسل رسل البريد إلى بغداد وغيرها حاملين بشائر النصر

وعندما وصلت إحدى هذه البشائر إلى بغداد، دقت الطبول وأعلن الناس خبر انتصار المسلمين وأسر عدد من كبار قادة الصليبيين

وهكذا لم تعد البشارة مجرد رسالة تصل إلى الخليفة أو السلطان، وإنما أصبحت مناسبة للاحتفال العام

المنصورة: الاحتفال يصل إلى الأسطول

تقدم معركة المنصورة سنة 648هـ/1250م نموذجا أكثر تطورا للاحتفال بالنصر، بعدما شاركت القوات البحرية في المشهد الاحتفالي

فبعد هزيمة الصليبيين، جرى نقل الملك الفرنسي لويس التاسع في سفينة حربية، بينما أحاطت به مراكب المسلمين التي كانت تضرب الطبول وآلات النحاس

وفي البر، تحركت الكتائب العسكرية، بينما احتشد الناس على الضفة الأخرى في مظاهر فرح وابتهاج

وبذلك أصبح النصر البحري نفسه جزءا من الاستعراض العام، ولم يعد الاحتفال مقتصرًا على الجيوش البرية

عين جالوت طبول البشارة بعد هزيمة المغول

إذا كانت حطين قد أوقفت تعدد الصليبيين، فإن عين جالوت سنة 658هـ/1260م مثلت نقطة تحول في مواجهة المغول

بعد المعركة، وصلت أخبار الانتصار إلى المسلمين، فدقت طبول البشائر من القلعة، وانتشر الفرح في المجتمع

وتظهر هذه الرواية كيف أصبحت الطبول وسيلة اتصال جماهيري للإعلان عن الانتصارات، خصوصا في المدن التي كان الناس فيها ينتظرون أخبار الجيوش بفارغ الصبر

تزيين المدن النصر يتحول إلى مشهد في الشوارع

ومن أبرز مظاهر الاحتفال التي تكررت في عصور مختلفة تزيين المدن والشوارع والبيوت

وتذكر الروايات أمثلة عديدة على مدن زُينت عقب الانتصارات، وفي مقدمتها القاهرة ودمشق

وفي العصر الفاطمي، يورد المقريزي أن القاهرة ومصر زُينتا زينة عظيمة بعد وصول غزاة البحر بمئة أسير، وخرج الخليفة إلى الشوارع في مشهد احتفالي كبير

ثم أصبحت عادة تزيين المدن أكثر انتشارا خلال الحروب الصليبية، فكانت دمشق وغيرها من المدن تتزين عقب الانتصارات

وفي بعض الحالات استمرت الزينة عدة أيام، بل امتدت في إحدى الوقائع إلى أسبوع كامل

ولم تكن الزينة مجرد ديكور، بل كانت وسيلة لتحويل الانتصار العسكري إلى حدث يشعر به سكان المدينة في حياتهم اليومية

باب النصر وباب الفتح تخليد المعركة في جغرافيا المدن

ارتبط الاحتفال بالانتصارات كذلك بأسماء الأماكن

فانتشرت في بعض المدن الإسلامية أسماء مثل "باب النصر" و"باب الفتح"، لتظل أسماء الانتصارات حاضرة في الذاكرة العمرانية

وبذلك لم يعد النصر مجرد تاريخ في الكتب، وإنما أصبح جزءا من جغرافيا المدينة نفسها، حيث يتحول المكان إلى شاهد دائم على حدث عسكري وسياسي مهم

الانتصار في بلد الاحتفال في بلدان أخرى

ومن أكثر مظاهر الاحتفال دلالة أن الانتصار الذي يقع في إقليم كان يمكن أن يؤدي إلى احتفالات في أقاليم بعيدة

فعندما انتصر المسلمون في معركة حمص سنة 680هـ/1281م على التتار، كتب السلطان المملوكي قلاوون بأخبار الفتح إلى سائر البلاد الإسلامية، فتزينت المدن احتفاء بالانتصار

وفي مثال آخر، عندما فتح صلاح الدين ميافارقين، وصلت أخبار الفتح إلى مصر، فبدأت القاهرة ومصر في التزيين، وأرسلت الرسائل إلى مختلف المناطق لإبلاغها بالنصر

وتعكس هذه الوقائع وجود نوع من التضامن الشعوري بين أقاليم العالم الإسلامي، حيث يمكن لمعركة تقع في الشام أو العراق أن تتحول إلى مناسبة احتفالية في القاهرة وغيرها

مواكب النصر الجيوش والغنائم والأسرى

بلغت الاستعراضات العسكرية ذروتها في العصر المملوكي

ومن أبرز النماذج احتفالات السلطان برسباي بعد فتح قبرص سنة 829هـ/1426م

عند وصول خبر الفتح، دقت البشائر في القلعة ثلاثة أيام، ثم خرجت مواكب عسكرية ضخمة في شوارع القاهرة

وتوافد الناس من القرى والأرياف لمشاهدة الاحتفال، وامتلأت الشوارع بالرجال والنساء، بينما تعالت التكبيرات والتهاني والزغاريد
وكان الموكب منظما بعناية؛ تقدم الفرسان، ثم المشاة، ثم الغنائم، ثم الأسرى، وفي نهاية الموكب ملك قبرص مقيدا
وأصبحت الغنائم نفسها جزءا من العرض، بما فيها التيجان والأعلام والأسلحة والخيول
وهكذا تحول النصر العسكري إلى مسرح مفتوح في شوارع القاهرة، يشاهده عامة الناس ويشارك فيه الجيش والسلطة والسكان

الاحتفال بالنصر كرسالة سياسية

لم تكن تلك الاستعراضات خالية من الدلالات السياسية
فعرض الغنائم وأسلحة العدو وأعلامه أمام الجمهور كان يحمل رسالة واضحة حول ميزان القوة، ويؤكد قدرة الدولة على حماية أراضيها وهزيمة خصومها
كما أن استقبال القادة المنتصرين وتنظيم المواكب لهم كان يرسخ صورة الدولة القوية، ويعزز مكانة الجيش والسلطان في الوعي العام
وتكشف بعض الروايات أن الاحتفالات كانت تهدف أيضا إلى رفع المعنويات، وإظهار أن الأعداء الذين بدوا في لحظة ما قوة مخيفة يمكن هزيمتهم وانكسار هيبتهم

المسرح والسخرية وكسر هيبة الخصم

ومن اللافت في بعض مظاهر الاحتفال أن العرض لم يكن دائما عسكريا بالمعنى التقليدي، بل استخدم أحيانا عناصر أقرب إلى التمثيل والمشهد المسرحي
ومن أبرز الأمثلة عرض زي كسرى على أحد الرجال في المدينة، وإلباسه التاج والحلي والملابس الملكية والأسلحة أمام الجمهور
كان المشهد يحمل بعدا رمزيا واضحا؛ فالإمبراطور الذي كانت هيئته تملأ المخيلة العربية أصبح مجرد شخصية يجسدها رجل أمام الناس
وهكذا يمكن قراءة بعض مظاهر الاحتفال باعتبارها محاولة لتحويل الخوف القديم من القوة المهزومة إلى مشهد يثير الدهشة والاعتبار وربما السخرية الضمنية من زوال سلطانها

فتح القسطنطينية احتفال يتجاوز حدود الدولة

وصلت احتفالات النصر إلى واحدة من أوسع صورها مع فتح القسطنطينية سنة 857هـ/1453م على يد السلطان محمد الفاتح
كان لهذا الحدث صدى واسع في العالم الإسلامي، ولم يقتصر الاحتفال على الدولة العثمانية
وتذكر المصادر أن القاهرة أضيئت وُزيت لأيام طويلة، وأقيمت احتفالات كبيرة، كما أرسل حكام مسلمون وسلاطين من مناطق مختلفة سفراء للتهنئة بالفتح
وفي القاهرة المملوكية، احتفل السلطان والناس بالانتصار، ودقت البشائر، وزينت الحوانيت والأماكن، وأقيم حفل استقبال رسمي في القلعة
وكان فتح القسطنطينية نموذجا واضحا على تحول الانتصار العسكري إلى مناسبة ذات صدى يتجاوز حدود الدولة التي حققتها، ليصبح حدثا يحتفل به المسلمون في أقاليم بعيدة

من البشارة إلى الذاكرة الجماعية

يكشف استعراض هذه الوقائع التاريخية أن احتفالات النصر في الحضارة الإسلامية مرت بمراحل متعددة
بدأت بالبشارة الشفوية ووصول الرسل إلى المدن، ثم ظهرت التجمعات العامة والإنشاد وقرع الدفوف، وبعدها توسعت لتشمل الشعر والخطب والرسائل، ثم تطورت إلى مواكب عسكرية واستعراض الغنائم وتزيين المدن وإضاءة الشوارع
وفي بعض العصور، أصبحت الاحتفالات جزءا من بروتوكول الدولة، تشارك فيها السلطة والجيش والعلماء والشعراء وعامة الناس

كما تحولت بعض الانتصارات إلى رموز دائمة في الذاكرة، فخلدها الشعراء في قصائدهم، وأطلقت أسماءها على أبواب المدن، وسجل المؤرخون تفاصيل الاحتفالات التي صاحبتهـا

الشعراء والمؤرخون ذاكرة الانتصار

لم يكن المؤرخون مجرد ناقلين لأخبار المعارك، وإنما سجلوا أيضا ردود فعل المجتمعات تجاه الانتصار

ولهذا نجد في كتب التاريخ والسير والأدب وصفا للزينة، والطبول، والمواكب، والرسائل، واستقبال الجيوش، واحتشاد الناس في الشوارع

أما الشعراء فكانوا يحولون الانتصار إلى ذاكرة أدبية، بحيث يمكن لقصيدة واحدة أن تبقى حدثا عسكريا حاضرا في الوعي قرونا طويلة

ومن بدر وعمورية إلى حطين وعين جالوت وفتح القسطنطينية، أصبحت المعارك الكبرى مرتبطة في الذاكرة الجماعية بأصوات الشعراء وطبول البشائر ومواكب المنتصرين

احتفالات النصر مرآة للمجتمع في لحظات الفرخ

تقدم هذه الوقائع صورة مختلفة عن المجتمعات الإسلامية في أوقات الانتصار؛ فالمعركة كانت تنتهي في ساحات القتال، لكن آثارها الاجتماعية كانت تبدأ في المدن

كان الناس ينتظرون الأخبار، ويتجمعون لسماع الرسل، ويخرجون لاستقبال الجيوش، ويزينون الشوارع، ويستمعون إلى الشعراء، ويشاهدون الغنائم، ويشاركون في المواكب

وبذلك تحول النصر من واقعة عسكرية إلى تجربة جماعية يعيشها المجتمع كله

كما تكشف هذه الاحتفالات عن تنوع أدوات التعبير عن الفرخ في التاريخ الإسلامي، من الأهازيج الشعبية إلى الشعر الرسمي، ومن الخطب والرسائل إلى الاستعراضات العسكرية، ومن تزيين المدن إلى العروض الرمزية التي تحاكي مظاهر القوة المهزومة

تاريخ طويل من الفرخ بالنصر

من المدينة المنورة في عهد النبي ﷺ إلى القاهرة ودمشق وبغداد، ومن مواكب استقبال العائدين من بدر إلى استعراضات العصر المملوكي، ومن قصائد أبي تمام إلى رسائل البشارة الدبلوماسية، ظل النصر في الذاكرة الإسلامية حدثا يتجاوز لحظة المعركة

فقد كان انتصار الجيوش مناسبة لإعادة بناء الثقة، ورفع المعنويات، وإظهار قوة الدولة، وتوحيد المشاعر العامة، وتسجيل الحدث في الأدب والفن والعمران

ولعل أكثر ما يلفت النظر في هذا التاريخ أن مظاهر الاحتفال نفسها أصبحت جزءا من تاريخ الانتصارات؛ فلم تعد الكتب تروي فقط من انتصر ومن هُزم، وإنما سجلت أيضا كيف استقبل الناس أخبار النصر، وكيف زينوا مدنهم، وماذا أنشد شعراؤهم، وكيف تحركت مواكب الجيوش والغنائم

وهكذا بقيت احتفالات النصر شاهدا على لحظات الفرخ الجماعي في التاريخ الإسلامي، وعلى قدرة المجتمعات على تحويل الانتصار من خبر عسكري عابر إلى ذكرى حية تتناقلها الأجيال